« أي النظام » وهو نائب فلوحق وحكم عليه بالسجن .

وعند اقتراب الفاشية وصعودها كرس دوكلو كل عمله لمقارعتها في فرنسا خاصة وفي اوروبا عامة . فذهب الى لشبونة سرا ، وانطلق بعد ذلك الى مدريد عندما كانت ظلال الموت تخيم على اسبانيا . وكان دوكلو رفيق درب ومؤازرا لديمتروف في معركته ضد الفاشية الهتلرية .

لم يكن دوكلو يعرف التعب والكل ، كان كتلة من الحركة والنشاط المبدع ، فهو حاضر باستمرار في بلده ، وحاضر ايضا في كل بلد يناطح الظلام .

في عام ١٩٣٦ أسهم دوكلو بشكل رئيسي في اقامة الجبهة الشعبية للوقوف في وجه الفاشية . ولما دخلت الجحافل النازية فرنسا كان دوكلو متخفيا في سويسرا فعاد مباشرة ، حيث بدأ ينظم الحملة السياسية والاعلامية للحزب في طول فرنسا وعرضها ، ثم بدأ يقود المقاومة المسلحة مع جورج بوليتزر ، كل ذلك في ظروف بالغة الصعوبة أعطى فيها الحزب الشيوعي ٧٠ ألف شهيد .

لم يكن دوكلو رجلا سياسيا محترفا فقط ، أي رجل حركة ، ورجل تنظيم ، بل كان انسانا موسوعيا أيضا ، كان ذاكرة الحزب وذاكرة الوطن ، أرخ لفرنسا كما أرخ لحزبه وللحركة الشيوعية العالمية ، فمذكراته تغطي الحياة السياسية خلال اكثر من نصف قرن ، ومن كتب دوكلو « هجوم السماء ، قصة الكومونة ، فوضوية الامس واليوم ، من نابليون الثالث الى ديغول ، الظل والنور ، باكونين وماركس » وقد ساهم قلم دوكلو بغزارة في الحياة السياسية من خلال مقالاته التي كان ينشرها في جريدة الحزب « الاومانيته » . كما كان مدير تحرير مجلة « الديمقراطية الجديدة » ومجلة صوت الشرق .

دوكلو لم يكن لا السياسي المترفع البطر ولا المثقف المتحذلق ، بل كان مزيجا متجانسا من الممارسة والنظرية ، كان يتكلم الى الشعب ويفهم الشعب لانه ينتمي اليه ويناضل من أجل مصالحه ، لذلك لم يخسر تقريبا في حياته جولة انتخابية . أصبح نائب رئيس البرلمان الفرنسي بين عام ١٩٣٦ — ١٩٣٩ وأعيد انتخابه بعد ذلك في مجلس الشيوخ حيث احتفظ بمقعده حتى وفاته .

وكان مرشح الحزب الشيوعي لرئاسة الجمهورية في عام ١٩٦٩ ضد بومبيدو حيث حصل على ٢٢٫٧٪ من أصوات الفرنسيين . من آخر جولاته الشهيرة ، معركته مع وزير الداخلية الفرنسي بونياتوفسكي حول الفاشية والشيوعية ، حيث نعت فيها دوكلو بونياتوفسكي بأنه « فاشستي جبان » . وبغياب دوكلو تتوارى ذاكرة الحزب وانسان قاد الحزب منذ نشأته الى جانب موريس توريز ومارسيل كاشان .

بالنسبة لنا نحن الفلسطينيين يتوارى قائد حزب صديق ، الحزب الشيوعي الذي بدأ يهاجم الصهيونية منذ اوائل الخمسينات « النقد الجديد شباط — ١٩٥٣ » ، والذي وقف الى جانب النضال العربي في بلد يحكمه اعلاميا الاعلام الصهيوني . وفي الخامس من حزيران ١٩٦٧ كانت صحيفة الحزب « الاومانيته » الوحيدة التي هاجمت اسرائيل بينما كان جهاز الاعلام الفرنسي برمته يتغنى بالانتصار الاسرائيلي . وقد صرح مارشيه سكرتير الحزب في أيار ١٩٧٣ « اننا لا نؤيد فقط حقوق الشعب الفلسطيني ، بل سنناضل معه حتى يستعيد هذه الحقوق » كما صرح مؤخرا بأن « الشعب الفلسطيني شعب حقيقي وموجود وله حقوق قومية مشروعة » .

وقد كرست دوريات الحزب في هذا العام والعام الماضي الكثير من صفحاتها للدفاع عن القضية الفلسطينية وهتك حقيقة اسرائيل (يمكن مراجعة مجلتي النقد الجديد وفرنسا الجديدة) .

ان حياة دوكلو رفيق بوليتزر ستكون صوتا هاديا لكل مناضل ، وسوف يكون تراثه العظيم منهلا لا ينضب لكل المناضلين من أجل الحرية والاستقلال وكرامة الانسان .

ف. د.